

وانختم على مجلدات ستة . ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس ، بعودة جدنا الغنى بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائه ، تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالأصول ، وانجز من التبحر فيه الوعد المطول ، ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثني عشر سفرا »

فها نحن اذن ازاء نسخ ثلاث من كتاب الاحاطة صدرت جميعا عن المؤلف : كتبت أولاها قبل سنة ٧٦٣ ، وكتبت الثانية قبل سنة ٧٦٨ ، وكتبت الثالثة بعد سنة ٧٧١ . ولعل هنالك مما صدر عن المؤلف غير هذه الثلاث . وبين الأولى والثانية من التفاوت ما رأينا . ولا بد أن تتفاوت جميعا على كل حال ، اذ كان الرجل في اصداره لها مؤلفا وليس ناسخا ، واذ كان معنيا بتسجيل احداث عصره والاحاطة بها وملاحقتها .

واذن فالادعاء بان نسخة رواق المغاربة ليست الا قطعة من مختصر الاحاطة ، لان هناك نسخة أخرى تزيد عليها ، ادعاء يعتمد على غير أساس .

وبذلك يسقط ما اعتبره الاستاذ الناشر في هذه النسخة ، مما آخرها عنده عن موضعها ، وأهدر حقها الأصيل في تقويم نص الاحاطة على الأصول العلمية .

طه الحاجري

بنغازي

الاستبصار في عجائب الأمصار

مؤلف مراكشي مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، رقم ١٠ من مطبوعات كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، ناشر هذا الكتاب ، الفضل في نشر نصف هذا الكتاب لأول مرة في نصه العربي ، وقد شفع هذا الفضل بآخر وهو ترجمة ما نشره عربيا لأول مرة الى اللغة الفرنسية .

وبذلك أتم الدكتور سعد زغلول ما بدأه فون كريم بالنسبة للنص العربي ، وأتم كذلك ما بدأه فانيان منذ عام ١٩٠٠ بالنسبة لترجمة النص العربي الى اللغة الفرنسية . فاذا ذكر كتاب الاستبصار هذا فلا بد أن يقرن اسم الدكتور سعد زغلول الى جانب اسمي فون كريم وفانيان لأن دوره وحده في هذا الكتاب يعادل دوريهما معا .

وكان فون كريم قد عني بهذا الكتاب منذ أكثر من قرن ، ثم رأى فانيان في أول هذا القرن أن يترجم هذا الكتاب الى الفرنسية لينتفع به من لا يعرفون العربية أو من لا يتقنونها . وفانيان دور مشكور في ترجمة كثير من الكتب العربية الى الفرنسية .

فلما عني الدكتور سعد زغلول بهذا الكتاب أثناء تحضيره لدرجة الدكتوراه في السربون وجده ناقصا لأن سلفيه العالمين نقلا عن مخطوطات ناقصة ، ووجد الناقص جديرا بالنشر والتسجيل : فقد كان الناقص : قصولا خاصة ببلاد غبارة ، واستقرار الإدارة بالمغرب ، وزندقة برغواطة ، ومدينة سجدماسه ، وبداية العبيدين الفواطم ، ومدن درعة وأغمات ونقيس وتممل ومراكش ، وكذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة لبلاد السودان (أنظر ص : أ) . ومن شأن مثل هذا النقص أن يحرمنا من معلومات تاريخية وجغرافية قيمة . ولهذا واصل الدكتور سعد زغلول العناية بالكتاب وجعله رسالته التكميلية . ثم عني بطبعه وشجعتة على ذلك جامعة الاسكندرية حتى خرج الكتاب في ثوب أنيق منشورا على الأصول المصطلح عليها في النشر .

ومؤلف الكتاب مجهول . ولهذا لا نعرف عنه الا ما أورده المؤلف من اشارات الى نفسه أو موطنه أو ظروف تأليف الكتاب .

والمؤلف يقول بنفسه ان الكتاب الذى يقدمه مأخوذ من كتاب أقدم مع تحقیقات واضافات هي كل ما استجد . ثم يمدنا المؤلف بكتاب أوفى . ولا نعلم ان كان قد بر بوعده أم حيل بينه وبين ما كان يطمح فيه . ولكننا نقرر أن الأخذ بالنص عن المؤلفين السابقين كان منهجا علميا معترفا به في جميع العلوم الثقيلة مثل الجغرافيا والتاريخ والتراجم والأخبار الأدبية . ولهذا فنحن نفهم قوله على أنه اراد أن يقرر انه اتبع المنهج السليم المصطلح عليه مع التنبيه على ما أضافه . وقد شرح الخطيب البغدادي أصول المنهج في العلوم الثقيلة في كتابه تقييد العلم ، فارجع اليه .

أما موطنه فالراجح أنه بلاد مراکش ، ووجه هذا الترجيح أن أخباره عن مكناسة وفاس ومراكش تبلغ من الدقة حدا لا يصله الا المقيم بهذه المدن . بل ان المؤلف يتجاوز حد التعريف الى حد رسم الخطط العمرانية لمراكش .

أما عن ظروف تأليف الكتاب ، فان التأليف عاصر سفارة ابن منقذ (٥٨٧/٨) من لدن صلاح الدين الأيوبي الى ثالث خليفة من خلفاء الموحدين وهو المنصور أبو يوسف يعقوب (٥٨٠ — ٥٩٥) . والكتاب مهدى من صاحبه الى الشيخ أبي عمران بن أبي يحيى بن وقتين . ولا نعرف عن المهدى اليه شيئا غير أنه ممن يصلون العلماء والفقهاء شأن الأعيان البارزين ذوى الجاه والثراء . ويظهر من ناحية أخرى أن المؤلف قد اطلع على سجلات الموحدين اما بحكم وظيفته أو بطريقة أخرى . وهذا أمر تزداد به قيمة الكتاب من حيث صحة الأخبار وجديتها .

ويرجح الدكتور سعد زغلول أن يكون المؤلف أحد كتاب الدواوين وهو ابن محشرة القيسى ، ولكنه ترجيح مفتقر الى أدلة أقوى وأصرح .

والكتاب من حيث موضوعه من كتب الجغرافيا العربية . وقد جرى الجغرافيون المسلمون على ترصيع هذا النوع من الكتب بأخبار مختلفة في نوعها فيها غناء كثير في بعض الأحيان . ثم اننا اذا عرفنا ان الكتاب قصر عنايته على الحرمين ومصر

والمغرب عرفنا أنه يجب أن يوضع بين كتب الرحلات المؤلفة لغرض خاص هو انتفاع الحجاج بها ، مع اضافات لا يجب أن نخدعنا عن الغرض الأصلي . ولهذا وصفت المؤلف مناسك الحج وصفا دقيقا مستجيبا لحقيقة هامة لا جدال فيها هي أن هذه التفاصيل عزيزة في قلوب الحجاج كما نعهد فيهم بالتجربة الى اليوم .

وينضاف الى ذلك عنايته بالمدن الواقعة على طريق الحج ، مع ذكر عجائب الأمصار . وأغلب الظن أنها مادة للسمر والتشويق . وأهم من ذلك كله بالنسبة لنا ذكر أخبار المغرب في كثير من الدقة على عهد الموحدين خاصة ، ووصف الآثار التي أنشأها أمراء الموحدين الثلاثة الأوائل وهنا نلمس أن المؤلف معاصر متصل بالحوادث مطاع على السجلات الديوانية .

وينقل المؤلف فيما عدا تحقیقاته الخاصة عن المسعودي (٣٤٥+) وابن وصيف شاه (٣٠٠٠+ تقريرا) وعن ابن عبد الحكم، والبكري والادريسي . وتظهر آثار النقل في ورود اشارات الى أخبار سابقة بكثير على عهد المؤلف .

نشكر الناشر لرجوعه الى مخطوطات جديدة غير مخطوطة فون كريمر التي لا يعرف اليوم مصرها . وقد ذل الناشر العقبات التي لقيها ، برغم أنه لم يجد بين يديه غير مخطوطات متأخرة مملوءة بأخطاء النساخ . وقد استطيع أن أقترح عليه بعض القراءات الخاصة وأن تنبه على بعض هنات في كشف الأسماء . ولكن ما يوجد من ذلك تافه لا يذكر بالنسبة لما بذل من مجهود جليل .

محمد عبد الهادي شمسة